الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادراً فلا يبعد اننا نتمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشفون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثاً بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منهُ فاقام العلماء لجاناً مخصوصة لهذا البحث وجُمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكلترا هذا العمل واقتدت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين يفتشون عن علاج للسرطان ينظرون في كل علاج يُعرَض عليهم مهما كان ويمتحنونهُ وحتى الآن لم يجدوا علاجاً شافياً . وممَّا يبحثون عنهُ جغرافية السرطان اي الاماكن التي يكثر انتشارهُ فيها فوجدوا انهُ اكثر في الاماكن الواطئة التي تغمرها مياه الانهر منهُ في الاماكن العالية . ومن الغريب انهُ يتردَّد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصيب غيرهم . ومن المحتمل انهُ من الامراض المعدية اذ قد اصيب بهِ رجل وزوجتهُ وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصلهِ وعن دوائهِ في انكلترا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتمدنة يقضون الايام في البحث والتنقيب وقد لا يعودون بطائل ولكن اذا وُفِّق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعهِ فائدة لا تقدَّر وينظر اليهِ كاكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سرُّ القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد. وقد رأيت اناساً تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خُيِّل لهم حصول الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتدَّ فيها الجدال قديماً وحديثاً بين الالهيين والطبيعيين وقد جوَّد الكلام على القدر استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خُطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمنهُ حلَّ كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تحديد كل مخلوق بحدهِ الذي يوجد عليهِ من حسن وقبح ونفع وضرٍّ وغير ذلك . والقدَر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معيَّن وسبب معيَّن . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد. فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم فيهِ . فكل مقضيٍّ مقدَّر وليس كل مقدَّر مقضيٌّ . فالمقدر ما لم يكن مقضيًّا يرجى ان يدفعهُ الله . ومعنى

كونهِ قائمًا بالعدل انهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ووفّى كل ذي حق حقهُ. ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها باسرها خرج عن غلبة الاوهام واسرها

(الاولى) ان كل كائن فهو بمشيئتهِ تعالى وتقديرهِ وخلقهِ . (الثانية) انهُ قدّر كل شيءٍ بحسب ما اقتضتهُ الحكمة واستعداد ذلك الشيء . (الثالثة) انهُ يحب الخير ولا يحب الشر وخلق ما خلق من الشر لما تضمنهُ من الحكم والاسرار ولكونهِ تابعًا لخير اوفى منهُ في المقدار واذا قيل اما كان يمكن وجود تلك الحكم والاسرار بدون ذلك قلنا من اين نعلم ان ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة . وقد تقرر باتفاق العقلاء ان القدرة لا تتعلق الاَّ بالممكن وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزًا . (الرابعة) ان الخلق ان اريد بهِ المصدر فهو حسن مطلقًا وان اريد بهِ غيرهُ فمنهُ حسن ومنهُ غير حسن . (الخامسة) ان العبد غير مجبور على فعلهِ وعلم الله في الازل بما يأتي بهِ العبد لا يقتضي كونهُ مجبورًا عليهِ فان العلم بما يفعلهُ المختار لا يوجب الاضطرار ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيهِ كان الحق تعالى غير مختار في افعالهِ لعلمهِ بها في الازل . نعم ليس الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها اهل الاعتزال حتى جعلوهُ في افعالهِ كانهُ ذو استقلال ولا في الدرجة التي تخيلها اهل الجبر حتى جعلوهُ ذا اضطرار في ذلك الاختيار حتى قال قائلهم

ما حيلة العبد والاقدار جاريةٌ عليهِ في كل حين ايها الراقي
القاهُ في اليمّ مكتوفًا وقال لهُ اياك اياك ان تبتلّ بالماء

والحق التوسط بين المذهبين . وجعل اختيار العبد بين بين . وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة . والقائلون بغيرهِ كالسارين في دجنّة . (السادسة) ان الحق سبحانهُ حكم عدل لا يظلم احدًا والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ وانهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ثم هدى . وانهُ لم يخلق شيئًا سدى فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ الاَّ نفسهُ . (السابعة) انهُ سبحانهُ ذو قدرة باهرة لا يعجزهُ شيءٌ وهو فاعل مختار وفي جميع افعالهِ حكم واسرار . (الثامنة) انهُ سبحانهُ وتعالى لا ينالهُ نفع ولا ضر وعدم محبتهِ للشر ليس على الصورة التي تتصورها في البشر . (التاسعة) انهُ سبحانهُ اوجد ما اوجد على ابدع صورة واجمل وجه . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . (العاشرة) انهُ يجب على العبد الرضاء بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي الا ترى ان المريض اذا سقي علاجًا مرًّا تراهُ راضيًا بفعل الساقي وان لم يكن راضيًا بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها . بقيت مسئلة وهي ادق جميع المسائل وهي ان يقال اذا كان بعض الانواع يلزم وجودها شر وان كان قليلاً فهلاَّ بقيت في عالمها الاول . وقد اجابوا عن ذلك

بان شأن الالوهية يقتضي وجود كل نوع من الانواع الممكنة لطلبها الايجاد بلسان الاستعداد وترك خير كثير لما يتضمنهُ من شر قليل شرٌّ كبير. الا ترى ان الغيث يعدُّ نعمة كبرى وان تضمن خراب بعض المنازل. فان قيل فهل في العالم شر محض قلت هذا ينكرهُ كثير من المحققين نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الافراد لا لمجموع العالم

ولطالما رأينا وسمعنا اناساً يعترضون على المقتطف شفاهاً او تحريراً لظنهم انهُ قد خالف الدين في ذكر القضاء والقدر واسباب إطالة الاعمار وهما المسألتان اللتان دعتا الى خبط كثيرين وعلاقتهما بعضهما مع بعض شديدة. فمن يعتقد بالقضاء والقدر على النحو الذي يعتقدهُ الجبرية القائلون بابطال الاسباب لا يقول بطول العمر اذا استُعملت الاسباب اللازمة لذلك ومن توسط في الامر كما هو مذهب العلامة المشار اليهِ وطائفة من اهل العلم والعقل يحسِّن كل ما يرد على صفحات هذه المجلة من التدابير الصحية المشروعة المعقولة

قال الاستاذ المنوه بهِ ايضاً في طول العمر: قد استفاض في الالسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق وقد وردت آثار شتى تدل على ان بعض الاعمال الحسنة سبب لبسط الرزق وطول العمر. وقد أُورد على ذلك ان العمر والرزق مقدران في الازل فكيف يتصور الزيادة فيهما واجاب بعض من تصدى للجواب بان المراد بذلك زيادة البركة واما نفس العمر والرزق المقدرين فلا يقبلان الزيادة. قال العلامة القرافي[1] في الفروق ان هذا الجواب عندي ضعيف بسبب ان البركة ايضاً من جملة المقدرات فان كان القدر مانعاً من الزيادة فليمنع من البركة في العمر والرزق كما منع من الزيادة فيهما . . .

وكذلك نقول الدعاء يزيد في العمر والرزق ويدفع الامراض ويؤخر الآجال وغير ذلك مما شرع فيهِ الدعاء فهو من القدر ولا يخل بشيء عن القدر بل ما رتب الله سبحانهُ مقدوراً الاَّ على سبب عادي ولو شاء لما ربطهُ بهِ اهـ

وبهذا يحلُّ لك الاشكال الذي يتوهم في قولهِ تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الاَّ ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) فان بعضهم قال

---

(١) شهاب الدين القرافي المتوفى بمصر عام ٦٨٤ هـ انتهت اليهِ رئاسة علماء المالكية في عصره وكتابهُ الفروق جمع بين صحيح النقل وصريح العقل وقد احسن طابعهُ في تونس بتطبيعهِ على حاشيتهِ كتاب العلامة ابن الشاط السبتي المتوفى سنة ٧٢٣ وهو في تعقب الفروق والنقد على صاحبهِ وحبذا لو جرت المطابع المصرية على مثل هذه الطريقة في نشر المصنفات النافعة مشفوعة بآراء العلماء فيها واسقاط الفقاريظ التي أكلها المتأخرون وهي لا تنيء بفضل مهما حوت من المدح والثناء

كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدرهُ الله من الخير. وقد افردهُ العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصهُ : ان الله تعالى قدّر الخير والشر في الدنيا وجعل لكل مقدور سبباً يترتب عليهِ ويرتبط بهِ. والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة . فالذي وضع لهُ السمّ فاكلهُ فمات قد قدّر موتهُ بالسم مع جهلهِ فلو قدر نجاتهُ منهُ قُدّر اطلاعهُ عليهِ فالمقدر على تقدير الجهل نمنع انهُ مقدّر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضدهُ . والرزق المقتر انما قدر لاهلهِ على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من اسباب الرزق اما مع علمهم بهذه الاسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا نسلم انهُ قُدّر لهم ضيق الرزق كما نقول ان الله قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الايمان اما مع عدمهِ فلا نسلم انهُ قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتّب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب . ثم قال وقد كثّرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسرّ القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن . اقول وهذا السؤال احد الاسئلة الاحدى والعشرين المسماة بالاسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الافكار . وبما ذكرناهُ يظهر لك معنى قولهِ تعالى (وما يُعمَّرُ من معمر ولا ينقص من عمرهِ الاَّ في كتاب) وان الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيهِ ان اطاع عمروٌ فعمرهُ ستون والاَّ فاربعون. ونقل العلامة ابن خاتمة الاندلسي في كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عن عمر رضي الله عنهُ انهُ قال لبيتٌ بركبة[٣] احبُّ اليَّ من عشرة ابيات بالشام. ونقل ان الامام مالكاً قال في الموطإ يريد لطول الاعمار والبقاء وشدة الوباء بالشام والله اعلم

محمد كرد علي

غنى افريقية الجنوبية

كتبنا في ما سبق فصولاً كثيرة في غنى الترنسفال الذي جرَّ عليها حرباً عوانا سفكت فيها انهار من الدماء وأنفقت بدرات الاموال ولكنها نشرت فوقها لواء العدل والحرية واثبتت فيها حسن الادارة والنظام فصارت مقصداً للذين ضاقت عليهم بلادهم او دفعهم الجور الى هجرانها فيجدون فيها مجالاً واسعاً ومنتجعاً طيباً . وقد عثرنا الآن على فصل في غنى افريقية

(٣) ركبة بضم الراء وآخر بالطائف بين عمرة وذات عرق وقيل ارض بني عامر بين مكة والعراق وهي ارض صحراوية سكانها اطول اعماراً واصح ابداناً